محاور الخطاب القرآني
في سورة عبس

د. وسن محمود لطيف
كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي جعل القرآن نبراساً يُهتدى بهديه ، ونوراً يُستضاء به ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين .

وبعد ..

فلا تزال بلاغة القرآن تقتضي المزيد من جهود الباحثين للكشف عنه خصائص نظم القرآن واساليبهِ البليغة . ومع ان علماءنا السابقين قد افاضوا في الحديث عن القرآن الكريم تفسيراً وتأويلاً وبلاغة فالقرآن نبعاً لا ينضب وكنزاً لا يغنى ..

ومع ذلك ما زالت بلاغتهُ بها حاجةٌ إلى جهود العلماء والباحثين ، جمعاً بين النظائر والمتشابهات ، وغوصاً في اعماق اسرار الأساليب ، للكشف ما وسع الجهد عن هذا الجمال القرآني المعجز .

وقد يسر الله لي ان أحظي بشرفِ خدمة كتاب الله ، وأن أرتبط بهِ من خلالِ موضوع بحثي هذا ، وهو ((محاور الخطاب القرآني في سورةِ عبس)) .

ويبدو ان سورة عبس نزلت على إثرِ واقعة تأريخية حقيقية ، اشارات اليها كتب أسباب النزول ، وكتب التفسير والسِّير ، وعاصرها الرعيل الاول من المسلمين ، فصاروا شهوداً عليها ، مثلما صاروا أقدرَ من يستطيع استيعاب الدرس والعبرة اللتين تنطوي عليهما .

قسمتُ البحث على مقدمةِ وثلاثةِ محاورِ وخاتمةِ .

درستُ في المحور الاول : الحدث ، ووجدت في الحدث اساليب منها الالتفات ، والعطف ، والفاصلة .

وفي المحور الثاني : تناولتُ الموعظة ، وفيه اكثر الصور وروداً في القرآن ، لأنها تظل حاضرة في النفوس والاذهان ، ومنه تفرع أسلوب التعجب والاستفهام .

أما المحور الثالث : فقد فتح الله عليَّ ان أتناول فيه الانفتاح السردي بعد إرشادات استاذي الفاضل (د . جبير صالح القرغولي) الذي كان مشرفاً على اطروحتي في الدكتوراة ، فجزاه الله خير الجزاء .

وقد قسمتهُ على مطلبين :

ضم المطلب الاول : الصور الدنيوية التي كانت جزءاً في تشكيل الصورة القرآنية ، وان القرآن انطلق منها للوصول إلى النفوس ، فصورة الارض ، والجبال ، والبحار ، والبساتين والثمار والطعام ، والظلال إلى غير ذلك ، هي من عناصر الوجود في السورة .

أما المطلب الثاني : فقد شرعتُ فيه بالحديث عن الصور الآخروية ، وتحدثتُ فيه عن صور حال المؤمنين ، وحال الكافرين ، فصور المؤمنين مستبشرة منيرة ضاحكة في يوم القيامة ، اما صورة الكافرين ، فيبين فيها العذاب بشكلٍ قاتم مكفهر .

والله من وراء القصد

الباحثة

المحور الاول

الحدث

انصرف هذا المحور إلى وصف الحدث الأساس الذي بنيت عليه السورة الكريمة وتفرعت منهُ محاور أخرى .

يُستهل هذا المحور بحدث غيبة يتعلق بشخص غائب فيصف ما كان منهُ إزاء شخصية ذكرت في المحور ، ولم يتكرر ذكرها في المحاور الاخرى ، وينتقل الخطاب من الغيبة إلى الخطاب المباشر ليتحقق (فن الالتفات) ، فبعد ان يقول سبحانه وتعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾[١] يطالعنا قوله تعالى :﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾[٢] .

ونجد أن الالتفات هنا حقق الغاية البلاغية المرجوة منهُ فالالتفات : (من الفعل (لفت) وهو بمعنى اللّيُ ، وصرف الشيء عن جهتهِ ، يقول صاحب لسان العرب :

لفتَ وجههُ عن القوم : صرفهُ ، وتلفّتَ إلى الشيء والتفت إليهِ : صرف وجهه إليه ، واللَّفْتُ ليّ الشيء عن جهته)[٣] ، فنلاحظ ان الالتفات في هذه الآية هو من الغيبة إلى الخطاب وهو العتاب في قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾[٤] .

وفي هذه الانتقالة من الغيبةِ إلى الخطاب في قوله تعالى :﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ ﴾[٥] ، معنى العتاب .

---

(١) سورة عبس آية : ١ – ٢ .

(٢) سورة عبس آية : ٣ .

(٣) لسان العرب ، مادة (لفت) .

(٤) سورة عبس آية ١ – ٣ .

(٥) سورة عبس آية : ٣ .

ففي قوله تعالى :

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾[1] ،(التفت سبحانهُ إلى خطاب نبيهِ (صلى الله عليه وسلم) ، لان المشافهة ادخل في العتاب : أي : ايّ شيء يجعلك دارياً بحالة حتى تعرض عنه ، وجملة ((لعله يزكى)) مستأنفة لبيان ان له شأناً ينافي الإعراض عنه أي : لعلهُ يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح بسبب ما يتعلمهُ منك ، فالضمير في (لعلهُ) راجع إلى ((الاعمى)) ، وقيل: هو راجع إلى الكافر ، أي : وما يدريك ما طممت فيه ممن اشتغلت بالكلام معهُ عن الاعمى انهُ يزكى ، أو ينكر الأول ، والأول أولى ، وكلمهُ الترجي باعتبار من وجِّهَ اليه الخطاب للتنبيه على أن الاعراض عنهُ مع كونهِ مرجوّ التزكي مما لا يجوز)[2] .

فالتعبير عن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ، بضمير الغيبة إجلال له (صلى الله عليه وسلم) لذلك يرى الآلوسي :

(أن ضمير عبس وما بعدهُ للنبي (صلى الله عليه وسلم) وفي التعبير عنه (صلى الله عليه وسلم) بضمير الغيبة إجلال لهُ لأنهُ لا يصدر عنه (صلى الله عليه وسلم) .

كما أن في التعبير عنهُ (صلى الله عليه وسلم) بضمير الخطاب ، في قوله سبحانه :﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾ [3] .

ذلك لما فيه من الإيناس بعد الإيحاش ، والإقبال بعد الإعراض ، والتعبير عن ام مكتوم بالأعمى للإشعار بعذرهِ في الإقدام على قطع كلام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتشاغِلهِ بالقوم ، وقيل : ان الغيبة اولاً ، والخطاب ثانياً الإنكار ، وذلك كمن يشكو إلى الناس جانياً جنى عليه ، ثم

---

(١) سورة عبس آية : ٣ .

(٢) الفتح القدير ، للشوكاني : ٥ / ٣٨٢ ، وينظر : ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لابي السعود : ٩ / ١٠٧ .

(٣) سورة عبس آية : ٣ .

يقبل على الجاني اذا حمى على الشكاية مواجهاً بالتوبيخ والتزام الحجة . وفي ذكر الأعمى فهو من ذلك لانه وصف يناسب لإقبال عليه والتعطف)[1] .

ومن خلال ما سبق رأينا العتاب في هذه الطريقة من الغيبة إلى الخطاب المباشر دليلاً واضحاً على قوةِ الفصاحة واتساع المعاني البلاغية التي اشتملت عليها السورة .

ونلاحظ ان هذا الحدث داخل معهُ في حكم الترجي ليتحقق اسلوب العطف في قوله تعالى :

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾[2] .

ونجد ان العطف هنا حقق الغاية البلاغية المرجوة منهُ فالعطف : يقصد به في النحو اتباعُ لفظِ لأخر بواسطةِ حرفٍ ، ففي تركيب العطف يوجد تابع يتوسط بينهُ وبين متبوعه حرف من حروف العطف لتؤدي جملة العطف معنى خاصاً ، وهذا يعني ان تركيب العطف يتضمن : المعطوف عليه وحروف العطف والمعطوف ثم المعنى . وعلى هذا فالعطف له معنيان : أحدهما لغوي ، والآخر اصطلاحي :

فاللغوي : الانحناء

هو الميل والانصراف ، يقال : (عطفت الشيء : املتهُ ... ، وعطفت عليه : انصرفت ، وعطفت رأس الخشية ، أي : لويت)[3] .

---

(١) روح المعاني ، للآلوسي : ١٥ / ٢٤٢ .

(٢) سورة عبس آية : ٣ .

(٣) العين ، مادة (عطف) ، ٢ / ١٧ ، مقياس اللغة (عطف) ،٤ / ٣٥١ ، ولسان العرب ، مادة (عطف) ، ٩ / ٣٤٩ .

ومن هنا اخذ المعنى الاصطلاحي :

فهو يُطلق على (التابع المتوسط بينه وبين متبوعه احد حروف العطف)[١] ، ففي قوله تعالى :

(﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾[٢] .

(عطف على يزكى في قوله تعالى :﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾[٣] .

داخل معه في حكم الترجي) [٤] .

ويرى ابو السعود : ((فتنفعه الذكرى)) (عطفاً على يذكر أي أو يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام)[٥] .

أما في قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴾[٦] .

عطفت على جملة قوله تعالى : ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴾[٧] .

حيث اقتضى ذكرهُ قصد المقابلة مع المعطوف عليها في الحدث بذكر الاعمى الذي جاء يسعى إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأراد بهذا العطف مقابلة الضدين إتماماً للتقسيم ، والمراد : بمعنى جاء يسعى : هو ابن ام مكتوم ، فحصل بمضمون هذه الجملة تأكيد لمضمون :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ [٨] .

---

(١) شرح قطر الندى : لابن هشام الانصاري ، ٣٠١ .

(٢) سورة عبس آية : ٤ .

(٣) عبس آية : ٣ .

(٤) إرشاد العقل السليم : لابي السعود ، ٩ / ١٠٨ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) سورة عبس آية : ٨ .

(٧) سورة عبس آية : ٥ .

(٨) سورة عبس آية : ١ – ٢ .

وهنا حدث عطف جملة على مضمون الجملة تأكيداً للحدث مع الاعمى [١] .

وفي القرآن الكريم نجد السور الطوال والقصار على حد سواء يظهر فيها أثر الفواصل في التنغيم ، مما يعطي القرآن جمالاً فوق جماله والعنصر الايقاعي في القرآن الكريم يُقصد اليه قصداً ، ولذا ورد الأمر بالترتيل وتحسين الصوت بالقراءة .

فالمحور الذي يدور عليه حال ابن ام مكتوم في الحدث نجده حقق الغاية البلاغية المرجوة وهي سر انتباه القارئ وكسر الرتابة المهيمنة على السياق من خلال استخدام اسلوب تعبيري واحد في (فن الفاصلة) .

فالفاصلة : لون ايقاعي ظاهر ، وهي في الحقيقة ظاهرة تكرارية ، وقالوا في تعريف الفاصلة : (هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع ، وقال الداني : كلمة آخر الجملة ... وقال القاضي ابو بكر : الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني)[٢] .

ومما جاء في الحدث في سورة عبس آيات تنتهي بفاصلة واحدة كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾[٣] .

كالقول في ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾[٤] .

أما قولهُ تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰ ﴾[٥] .

فاصلة قرآنية ، فالفاصلة في ((يزكى)) جاءت متعلقة بـ ((تلهى)) و ((تصدى)) ، فالالف المقصورة في هذه الكلمات السابقة متعلقة بحال ابن ام مكتوم عند اعتراض النبي عنهُ (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : لابن عاشور ، ٣٠ / ١٠٨ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : للزركشي ، ١٥ / ٨٣ – ٨٤ .

(٣) عبس آية : ١٠ .

(٤) عبس آية : ٦ .

(٥) عبس آية : ٣ .

ولكن طبيعة الفاصلة في قوله تعالى:((يزكى)) و ((تصدى)) ، تغير من نبرة الصوت عن ((تلهى)) .

(فالاتيان بضمير المخاطب في ((تصدى)) مظهراً قبل المسند الفعلي دون استتاره في الفعل يجوز ان يكون للتقوي ، كأنه قيل : تتصدى له تصدياً ، فمناط العتاب هو التصدي القوي)[1] . وهذا بحق ، دليل واضح على اعجاز هذا الكتاب ، وانه منزل من عند الله .

المحور الثاني

الموعظة

انصرف هذا المحور إلى تحقيق الموعظة وهي النصح والتذكير بالعواقب ، وهو تذكير للإنسان بما يلين قلبهُ من ثواب وعقاب ، وإن الإنسان بطبعه اجتماعي يتفاعل مع محيطه ، ويمكن ان يتأثر به سلباً او ايجاباً .

والموعظة الحسنة تشكل عاملاً خارجياً يأخذ بيد الإنسان ليساعدهُ على تخطي فتن الدنيا ، وزخارفها ، وشبهاتها ، وتتأكد ضرورتها عند غفلة الإنسان ، وخمود الوعظ الداخلي فيه ، او خموله فيصبح لها الدور الأساسي في النجاة من النار .

يستهل هذا المحور بصورة ترد فيها الموعظة في النعيم والعذاب وهي (جحود الإنسان) تارة في شكل مادي محسوس ، وتارة آخرى في شكل معنوي .

فمما ورد بصورة الموعظة بالنعيم ، قولهُ تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴾[2]

(١) التحرير والتنوير : لابن عاشور ، ٣٠ / ١٠٨ .

(٢) سورة عبس آية : ١١ – ١٦ .

فقد صور القرآن الكريم النعيم صورة مادية محسوسة ومعنوية ، فهذهِ لذة مادية تجذب حواس المتلقي وتثيره بحسب ما تتسع لهُ مخيلتهُ في تمثيل هذا الحس ، وفي هذه الصورة نرى الاستقرار النفسي والسلام الروحي للذة النعيم .

أما المقطع الثاني في قوله تعالى :﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾[1] .

فـ(يعالج هذا المقطع جحود الانسان وكفره الفاحش لربه ، وهو يذكره بمصدر وجوده واصل نشأته ، وتسير حياته ، وتولي ربه له في قوته ، ونشره ، ثم تقصير بعد ذلك في امره)[2] .

فقد صور القرآن لنا جحود الإنسان بطريقةٍ محسوسة ومعنوية ، (فالسياق هنا يعجب من امر هذا الانسان ، الذي يعرض عن الهدى ، ويستغني عن الايمان ، ويستعلي على الدعوة إلى ربه ... يعجب من امره وكفره ، وهو لا يذكر مصدر وجوده ، واصل نشأته ، ولا يرى عناية الله بهِ ، وهيمنتهُ كذلك على كل مرحلة من مراحل نشأته في الاولى والآخرة ، ولا يؤدي ما عليه لخالقه وكافله ومحاسبه)[3] .

وينتقل هذا المحور من الوعظ بالتعجب من أمر هذا الإنسان إلى الاستفهام ، فبعد أن يقول سبحانه وتعالى :﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾[4] .

يطالعنا قولهُ تعالى :﴿ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾[5] .

---

(١) سورة عبس آية : ١٧ – ٢٣ .

(٢) في ظلال القرآن : سيد قطب : ٦ / ٣٨٢٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) سورة عبس آية : ١٧ .

(٥) سورة عبس آية : ١٨ .

ونجد أن الاستفهام حقق الغاية البلاغية المرجوة من الوعظ بالاستفهام المجازي ، فالهمزة والسين والتاء اذا زيدت في الفعل الثلاثي أفادت معنى الطلب ، يقال : استغفر ، أي : طلبَ المغفرة ، واستفهم : أي : طلب الفهم ، فالاستفهام طلب الفهم ، والفهم يعني حصول صورة المراد فهمه في النفس وإقامة هيأته في الفعل ، وهذا هو الذي قالهُ البلاغيون في تعريف الاستفهام ، فهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن بإحدى أدوات الاستفهام[١] .

فنلاحظ ان الاستفهام هنا يفضي إلى ان يعلم الإنسان ان الله خالقهُ ، فقال : ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾[٢] .

لفظة استفهام مجازي ، ومعناه التقرير ، فقد كان يعلمه ويعظه بان الله خالقه ، فقد ورد الاستفهام ، بأداة (أي) ، المقترنة بحرف الجر (من) في قوله تعالى :﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾[٣] .

استفهام أفاد التقرير ، وهو (شروع في بيان إفراطه في الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدأ فطرته إلى منتهى عمره من فنون النعيم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة ، مع إخلالهِ بذلك ، وفي الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى :﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ ﴾[٤] .

---

(١) ينظر : دلالات التركيب ، د . محمد ابو موسى ، ٢٠٣ – ٢٠٤ ، وعلم المعاني : د . بسيوني عبد الفتاح فيود : ٣٠٥ .

(٢) سورة عبس آية : ١٨ .

(٣) سورة عبس آية : ١٨ .

(٤) سورة عبس آية : ١٩ .

تحقير له ، أي : من أي شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرةٍ خلقه ((فقدره)) فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال او فقدره اطواراً إلى ان تمَّ خلقه)[1] .

ففي ((من نطفة خلقه)) إجابة عن ذلك الاستفهام ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ ، انه اصل متواضع زهيد يستمد كل قيمه من فضل الله ونعمهُ ، وان الإنسان الذي لايزال يملك صفاءً في قلبهِ ونقاءً في روحهِ لا يمكنه إلاَّ ان يتأثر بالموعظة ، ويلين لها قلبه فيهتدي بها ويستضيء بنورها .

وقد تقف بعض العوائق لتمنع الإنسان من التفاعل مع الموعظة ، هذه العوائق والحجب التي تشكلها كثير من العناصر ، كالغفلة ، وحب الدنيا ، فنحن نؤمن بالله واليوم الآخر بلا شك وتردد ...

المحور الثالث

الانفتاح السردي

السرد في اللغة :

هو : (تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقاً بعضهُ ، في أثرِ بعض متتابعاً)[2] .

اما الزبيدي فيقول :

(فلان يسرد الحديث سرداً وتسردهُ اذا كان جيد السياق وسرد القرآن تابع قراءته في حذر منه)[3] .

---

(١) ارشاد العقل السليم : لابي السعود ، ٩ / ١١٠ ، وينظر : روح المعاني : للآلوسي ، ١٥ / ٢٤٦ – ٢٤٧ ، وينظر : تفسير الجلالين : جلال الدين محمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن ، ١ / ٧٩٢ .

(٢) لسان العرب : مادة (سرد) ، ٣ / ٢٦٠ .

(٣) تاج العروس : مادة (سرد) ٨ / ١٨٩ .

اما الزمخشري فالسرد عنده : (من جاء بهما على ولاء)[1] ، وهو في كل ذلك يدل على التتابع والاتساق الذي يقصد التلاحم مع البنية ، ليكون المصطلح الذي تسير من اجل الوصول إلى تكاملهِ الاصطلاحي .

اما السرد في الاصطلاح :

فهو (قص حادة واحدة او اكثر ، خيالية كانت او حقيقية بحيث يكون معناه منصباً على النتيجة والعملية والهدف والفعل والبناء)[2] .

وقد قسمتُ هذا المحور على مطلبين :

المطلب الاول : صور دنيوية : ويبدأ بقوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾. إلى قوله تعالى : ﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾.

المطلب الثاني : صور أخروية : ويبدأ بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾. إلى قوله تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾.

المطلب الاول : الصور الدنيوية

سخر الله عز وجل في كتابه ، أرفع اسلوب واقربه إلى النفوس والاذهان حتى يصل إلى هدفه التوجيهي وغرضه الديني ، ولعل الأسلوب الذي نقصده هنا ، هو الاسلوب التصويري .

فالقرآن (يعبر بالصورة المحسة والمتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن

(١) اساس البلاغة : مادة (سرد) ١ / ٤٤٩ .

(٢) معجم المصطلحات الحديثة : ٥٩ ، ٦٠ .

النموذج الإنساني ، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة)[١] .

وتجدر الاشارة إلى أن الصورة في القرآن الكريم (ليست عملاً فنياً مقصوداً لذاته ، انها وسيلة لتبليغ الدعوة الاسلامية وتثبيتها وتعميقها عن طريق الامتاع والإقناء)[٢] .

أي ان الاسلوب القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الزمني، بل انه يتخذ الجمال اداة مقصودة للتأثير الوجداني .

ومنه يصبح التعبير الجميل في القرآن اداة لتحقيق الغاية الدينية ، ويسعى من خلاله إلى لفت النفس البشرية إلى جمال الكون وتناسق موجوداته ، وذلك ان الجمال في أي شيء في الطبيعة أو الإنسان ، جذاب للمتلقي له فاعليته في النفوس ، فكيف اذا كان الجمال في الكتاب المعجز بجماله وكماله ؟

فالصورة الدنيوية كانت جزءاً في تشكيل الصورة القرآنية ، وان القرآن انطلق منها للوصول إلى النفوس ، فصور الطعام ، والارض ، والجبال ، والبحار ، والبساتين ، والظلال ، إلى غير ذلك من عناصر الوجود .

ذلك ان القرآن يوجه النظر إلى الصورة الدنيوية لانها طريقه إلى خالقهِ ، مثلاً قوله تعالى في المحور الدنيوي :

---

(١) التصوير الفني في القرآن الكريم : سيد قطب ، ص ٦ .

(٢) التصوير الفني في القرآن الكريم : سيد قطب ، ص ٢٩ ، اطروحة دكتوراة / طول محمد .

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ (١) .

يعالج هذا المحور (توجيه القلب البشري إلى أمس الأشياء به وهو طعامه وطعام حيوانه ، وما وراء ذلك الطعام من تدبير الله وتقديره لـــه ، كتدبيره وتقديره في نشأته)(٢) .

فالسياق يقودنا هنا إلى نشأة الانسان ، والنظر إلى طعامه وطعـــام انعامه ، وهي قصة طعامه ، فهل له من يد فيها ؟

إن اليد التي اخرجته إلى الحياة وأبدعت قصته ، هي ذاتها التـــي اخرجت طعامه وابدعت قصته ، القصة العجيبة اليسيرة ، وهي معجـــزة كمعجزة خلقه ونشأته ، وصب الماء في صورة المطر حقيقة يعرفها كـــل إنسان في كل بيئة ، فكانت اول قصة الطعام هي :

﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴾ (٣)

ويشير النص القرآني يبقى صالحاً لأن يخاطب به كل الناس فـــي كل بيئة وفي كل جيل ، ثم تأتي مرحلة ثالثة في القصة هي النبـــات بكـــل صنوفه وأنواعه التي يذكر منها هنا أقربها للمخاطبين ، وأعمها في طعام الناس والحيوان : فقال تعالى :﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾ (٤) .

وهو يشمل الحبوب ، ما يأكله الناس في أية صورة من صـــورهِ ، وما يتغذى به الحيوان في كل حالة من حالاته(٥) .

---

(١) سورة عبس الآيات ٢٤ – ٣٢ .

(٢) في ظلال القرآن : سيد قطب ٦ / ٣٨٢٢ .

(٣) سورة عبس آية : ٢٥ .

(٤) سورة عبس آية : ٢٧ .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن : سيد قطب ٦ / ٣٨٣٣ .

فهذه هي (قصة الطعام . كلها من إبداع اليد التي أبدعت الإنسان، وليس للانسان يد يدعيها في أي مرحلة من مراحلها ... حتى الحبوب والبذور التي قد يلقيها هو في الارض ... انه لم يبدعها ، ولم يبتدعها .

والمعجزة في انشائها ابتداء من وراء تصور الإنسان وادراكه . والتربة واحدة بين يديه ، ولكن البذور والحبوب متنوعة ، وكل منها يؤتي أكله في القطع المتجاورات من الارض . وكلها تسقى بماء واحد ، ولكن اليد المبدعة تنوع النبات ، وتنوع الثمار ، وتحفظ في البذور الصغيرة ، خصائص امها التي ولدتها فتنقلها إلى بنتها التي تلدها ...

كل اولئك في خفية عن الانسان ! لا يعلم سرها ولا يقضي امرها، ولا يستشار في شأن من شؤونها)[1] .

المطلب الثاني: الصور الآخروية

كانت صور البعث صور الآخرة اكثر الصور وروداً في القرآن؛ لانه اراد ان تظل حاضرة في النفوس والاذهان ، والتحقيق هذا الأثر لا بد من تخيّر أسلوب خاص بها ، وهو أسلوب التعبير بالصورة التي اكسبها وقعها في النفوس[2] .

وقد عبر القرآن عن هذا الواقع في المقطع الاخير من سورة عبس بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِئٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴾[3] .

---

(١) في ظلال القرآن : سيد قطب ٦ / ٣٨٢٢ .

(٢) ينظر : نظرية التصوير الفني عند سيد قطب : صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ص ٢١٥ .

(٣) سورة عبس الآيات : ٣٣ – ٤٢ .

وهي صورة يتوإلى فيها (عرض ((الصاخة)) يوم تجيء بهواها ، الذي يتجلى في لفظها ، كما تتجلى آثارها في القلب البشري الذي يذهل عما عداها وفي الوجوه التي تحدث عما دهاها)[١] وهي صورة للحالة النفسية التي يمر بها الناس يوم البعث وشدة هلعهم من الصاخة ، و ((الصاخة)) هي لفظ ذو جرس عنيف نافذ ، يكاد يخرق صماغ الاذن وهو يشق الهواء شقاً . (والهول في هذا المشهد هول نفسي بحت ، يفزع النفس ويفصلها عن محيطها ، ويستبد بها استبداداً ، فكل نفسه وشأنه ، ولديه الكفاية من الهم الخاص به ، الذي لا يدع له فضلة من وعي او جهد)[٢] .

فانظر إلى فرار الإنسان يوم الصاخة ، والحالة النفسية التي يمر بها ، فقد ذكر الاخ فالأم ، فالأب ، فالصاحبة ثم الأبناء في الاخير ، وسبب ذلك أن مقام الصاخة في سورة (عبس) هو (مقام الفرار والهروب)، فالحالة النفسية التي تصيب الانسان في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾[٣] .

(فالانسان يفر من الأباعد اولاً ، ثم ينتهي بالصق الناس بهِ ، واقربهم إليه ، فيكونون آخر من يفر منهم ، والأخ ابعد المذكورين في الآية من المرء ، الصقهم به زوجه ، وابناؤه .

فنحن ملتصقون في حياتنا بازواجنا وابنائنا اكثر من التصاقنا باخواننا وآبائنا وامهاتنا . فقد تمر شهور ، بل ربما اعوام ، ونحن لا نرى اخواننا في حين نأوي كل يوم إلى ازواجنا وابنائنا . والإنسان قد يترك أمه وأباه ليعيش مع زوجه وأبنائه ، وهو ألصق بأبنائه مع زوجه ،

(١) في ظلال القرآن : سيد قطب ٦ / ٣٨٢٢ .
(٢) المصدر نفسه : ٦ / ٣٨٣٤ .
(٣) سورة عبس آية : ٣٤ .

فقد يفارق زوجه ويسرحها ، ولكن لا يترك ابنه . فالابناء آخر من يفر منهم المرء ويهرب)[١] .

فالسياق هنا هو سياق فرار من المعارف ، واصحاب العلائق اجمعين للخلوِّ إلى النفس ، فان لكل امرئ شأناً يشغله وهماً يغنيه ، وهذا حال الخلق جميعاً في هول ذلك اليوم اذا جاءت الصاخة .

اما صورة حال المؤمنين وحال الكافرين ، فلنتأمل صورة حال المؤمنين في يوم القيامة وذلك في قوله تعالى :﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾[٢] .

ففي هذا المشهد الرائع نلاحظ حال المؤمنين ، فهذه وجوه مستنيرة منيرة متهللة ضاحكة ، فهي تنجو من هول الصاخة ، المذهل لتهلل وتستنير وتضحك وتستبشر[٣] .

ثم يبين هنا هول العذاب في صورة معنوية نفسية ، ترسم ظلالها النفوس الكافرة ، في قوله تعالى : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾[٤] .

(فاما هذه فتعلوها عبرة الحزن والحسرة ، وينشاها هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله وبرسالاته ، والذين خرجوا عن حدوده وانتهكوا حرماته ... وفي هذه الوجوه وتلك قد ارتسم مصير هؤلاء وهؤلاء ، ارتسم ملامح وسمات من خلال الالفاظ والعبارات ، وكأنما الوجوه شاخصة ، لقوة التعبير القرآني ودقة لمساته)[٥] .

---

(١) لمسات بيانية في النصوص من التنزيل : د . فاضل السامرائي ، ص ٢٢٢ .

(٢) سورة عبس آية : ٣٨ – ٣٩ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن : سيد قطب ٦ / ٣٨٣٤ .

(٤) سورة عبس آية : ٤٠ – ٤٢ .

(٥) في ظلال القرآن : سيد قطب ٢٦ / ٣٨٢٢ .

ونخلص في الاخير إلى القول بان مطلع سورة عبس يقرر حقيقة الميزان ، وختام السورة يقرر نتيجة الميزان ، وهي سورة قصـــيرة بهـــذا الحشد من الحقائق الضخام ، والمشاهد المؤثرة فـــي نفـــوس المســـلمين ، ترغيباً وترهيباً ودعوة إلى سبيل الحق والرشاد .

الخاتمة

بحمد الله وبركاته ختمت بحثي هذا ، والذي عشت في رحابه رحلةِ ممتعة مع الله ، وكلامهِ العظيم ، والذي توصلت به إلى النتائج الآتية :-

١- عتاب إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) من اللهِ ، وذلك عندما جاءهُ الأعمى وهو (عبد الله بن ام مكتوم) ، ظهر في وجهِ الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، الكراهية لقطعه كلامهُ ، فنزلت هذه السورة فكان كلما رآه قال له مرحباً لمن عاتبني فيه ربي .

٢- تناول البحث محاور الخطاب البلاغي في الحدث ، وبين ما فيها من اساليب بلاغية تجسدت في الالتفات ، والعطف ، والفاصلة .

٣- اختص المحور الثاني بالموعظة ، وقد انصرف هذا المحور إلى وصف الموعظة وهي النصح والتذكير بالعواقب ، وتجسدت في التعجب ، والاستفهام .

٤- اما المحور الثالث ، فقد ناقشت الانفتاح السردي ، وقد توصلتُ فيه إلى ما في السورةِ من صورٍ دنيوية ، وصور آخروية .

واما الصور الدنيوية فقد اختصت بتشكيل الصور القرآنية ، وان القرآن انطلق منها إلى النفوس ، فصور الطعام ، والارض ، والجبال ، والبحار ، والبساتين ، والظلال إلى غير ذلك من عناصر الوجود . ذلك ان القرآن يوجه النظر إلى الصورة الدنيوية ، لانها طريقه إلى خالقهِ .

اما الصورة الثانية ، فقد وضحت فيها إلى صور حال المؤمنين والكافرين يوم القيامة .

٥- ونستنتج في الاخير بان مطلع السورة عبس يقر حقيقة الميزان ، وختام السورة يقرر نتيجة الميزان ، وهي سورة قصيرة بهذا الحشد من الحقائق الضخام ، والمشاهد المؤثرة في نفوس المسلمين ، وترغيباً للمؤمنين ، وترهيباً للمشركين الضالين والمنافقين ودعوة إلى سبيل الحق والرشاد .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علـــى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحابته اجمعين .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ارشادات العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ابو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، (ت ٩٨٢ هـ) ، دار احياء التراث العربي – بيروت .

٢. اساس البلاغة : جار الله ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري ، (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م) .

٣. البرهان في علوم القرآن : لبدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ)، دار الفكر – بيرو ت – لبنان ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .

٤. تاج العروس من جواهر القاموس : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، ابو الفيض ، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، الناشر : دار الهداية .

٥. التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي،(ت ١٣٩٣ هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ، (١٩٨٤ م) .

٦. التصوير الفني في القرآن الكريم : لسيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الشرعية السادسة ، (١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م) ، الطبعة الشرعية السابعة .

٧. تفسير الجلالين : جلال الدين محمد بن احمد المحلي (ت ٨٦٤ هـ) ، وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، (ت ٩١١ هـ) ، دار الحديث – القاهرة ، ط ١ .

٨. دلالات التركيب (دراسة بلاغية) : د . محمد محمد ابو موسى ، الناشر مكتبة وهبة ، ط ٢ ، (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م) .

٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ، (ت ١٢٧٠ هـ) ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت .
١٠. شرح قطر الندى وبل الصدى : ابن هشام الانصاري (ت ٧٦١ هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ١١ ، القاهرة ١٣٨٣ م .
١١. الصورة الفنية في القرآن الكريم :اطروحة دكتوراة طول محمد – كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة نلمسان ، سنة ١٩٩٥ م .
١٢. علم المعاني : دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعاني ، د . بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار ، ط ٢ ، (١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م) .
١٣. العين : الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ، تح ، د . مهدي المخزومي ، د.ابراهيم السامرائي ، مكتبة اللهلال ، (د . ت).
١٤. فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير :محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) ، دار الفكر – بيروت .
١٥. في ظلال القرآن : سيد قطب ابراهيم ، دار النشر ـ دار الشروق ، القاهرة .
١٦. لسان العرب : ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) ، دار صادر – بيروت – ط ١ (د . ت) .
١٧. لمسات بيانية في النصوص من التنزيل :د . فاضل صالح السامرائي ، دار الفجر للطباعة والنشر– العراق – بغداد، ط١، (١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م) .
١٨. معجم المصطلحات الحديثة :

١٩. مقاييس اللغة : ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، تح ، د . عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر (د . ت) .
٢٠. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب : صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار شهاب ، الجزائر ، ١٩٨٨ م

Conclusion

Praise and blessings of God sealed this research, and who lived in the spaciousness of a fun trip with God, and his great, and reached the following results- :

1. reproach to the Prophet Mohammed (peace be upon him) of God, and that's when he received the blind and he (Abdullah bin or withheld), appeared in the face of the Prophet (peace be upon him), hate to cut his words, then this Sura was whenever he saw said his Hello individual who Atbna the Lord.
2. The research axes rhetoric in the event, and what methods of exemplified Blaih the attention, and affection, and interval.
3. singled second axle Bmoazp, has departed this axis to describe the advice and counsel reminder of the consequences, and embodied in exclamation points, and question mark.
4. The third axis was discussed opening up the narrative, which has reached to the sura of mundane pictures, images hereafter.

But mundane images has specialized formation Quranic images, and that the Quran began to souls, pictures of food, and earth, and the mountains, the sea, and horticulture, and shadows to other elements of existence. So that the Koran draw attention to the mundane, it's his way to his creator.

The second picture, he explained to the images if the believers and unbelievers on the Day of Resurrection.

5. and conclude in the latter that the early sura frowned acknowledges the fact the balance, and the end of Sura decide result balance, a short soorah this crowd of facts Giants, and the scenes affecting the hearts of Muslims, and carrots to the believers, and intimidation of the heathens deviants, the hypocrites and the invitation to the path of truth and righteousness.

The last prayer Praise be to Allah, and peace and blessings on the Prophet Muhammad (peace be upon him) and his companions and companions.